

سيكولوجية التطير

بقلم

نجيب يوسف بروى

المدرس بطنطا الثانوية الحديثة

للمهنة دخل كبير فى القابلية للتطير . وأينما وجدت عناصر المصادفة والحظ كان احتمال القابلية للتطير كبيرا . لذلك يأتى فى مقدمة المتطيرين ، المقامرون ، والصيادون والمحاربون .

والجندى فى الميدان يحمل قلبه بين يديه . وللحظ والمصادفة فى رسالته دخل كبير ، فرصاصة طائشة قد تؤدى بحياته ، وحركة شاردة قد تكون فيها منجاة . ومن مظاهر التطير حمل التعاويذ . وكثيراً ما سمعنا فى قصص الحرب الماضية عن التعاويذ التى يحملها رجال سلاح الطيران معهم لا يفارقونها ولا تفارقهم لاعتقادهم أنها تجلب لهم الحظ . وقد تكون هذه التعاويذ حدوة فرس ذهبية صغيرة أو خاتماً أو تمثالاً دقيقاً أو قلادة أو نحو ذلك .

وفى ما يلى ستناول بالبحث ناحيتين :

أولاً : تفسير فرويد للتطير^(١) .

ثانياً : علاقة التطير بالشخصية .

أولاً : يعرف فرويد الشخص المتطير بأنه من يتخذ من الأحداث الخارجية علامات يضيف عليها مغزى ومعنى ، ويتخذ منها بشائر خير يتفاعل بها أو نذائر سوء يتشائم منها — كعادة العرب فى زجر الطير ، وكالنذائر التى يرويها لنا التاريخ . يرى فرويد أنه طالما لا توجد علاقة بين الشخص المتطير والحادث الخارجى (النذير) ، تكون المسألة مصادفة لا أكثر .

ولكن الحالة تختلف تماماً عند ما يصدر عن الشخص أفعال عشوائية أو أخطاء

(١) "Psychopathology of Everyday Life", S. Freud. Pelican, PP. 193—197

غير مقصودة . هذه لا يعتبرها فرويد مصادفة بل أن لها دلالة ، أنها أفعال الدافع إليها لاشعورى تحتاج إلى تفسير .

وعلى ذلك يختلف فرويد عن الشخص المتطير فيما يأتى :

إنه لا يؤمن بأن أى حادث خارجى لا يشترك فيه ذهنه يعلمه أى شىء عما يخبئه له القدر فى المستقبل . ولكنه يعتقد أن أى حادث عشوائى أو خطأ غير مقصود صدر عنه لا بد وأن يحتوى على شىء مخبأ فى نفسه ينتمى إلى حياته العقلية وحدها .

فهو يعتبر حقيقة المصادفة فى الأشياء الخارجية — ولكنه لا يعتبرها فى الأشياء الداخلية (النفسية) . أما مع الشخص المتطير فالحالة على عكس ذلك : إنه لا يعلم شيئاً عن دوافع الحوادث العشوائية ومع هذا يميل إلى أن يضمنى على حوادث المصادفة الخارجية معان . ويرى فى حوادث المصادفة المحضة الخارجية وسائل للتعبير عن أشياء مخبأة خارجة عن ذاته (أى غيبية) . فيوجد حينئذ وجهان للخلاف بين فرويد والشخص المتطير :

أولاً : المتطير يفسر الدافع على أنه من الخارج ، بينما ينظر فرويد إلى الدافع فى نفسه .

ثانياً : المتطير يفسر الحادث بالمصادفة accident بأنه واقعة event بينما يرجعه فرويد إلى فكرة . وما يعتبره المتطير مخيفاً يقابله عند فرويد اللاشعور .

ونظراً لأن الشخص المتطير لا يعرف شيئاً عن دوافع الأفعال العشوائية والأخطاء غير المقصودة التى تصدر عنه ، ونظراً لضرورة تعرفه هذه الدوافع ، فإنه يضطر إلى التخلص منها بأن ينسبها إلى العالم الخارجى . مع أن الدافع إلى هذه الأفعال لاشعورى لأنها نتيجة لوجود نزعات وميول ورغبات كبتت فى اللاشعورى لأنها لا تتفق مع آداب المجتمع وتقاليدته ولكنها لم تخمد ولم تفقد القدرة على الظهور بل ظلت حية تتحين الفرصة للإفلات من الرقيب والإفصاح عن نفسها فى الأعمال العشوائية والسهو والخطأ .

يذكر فرويد أن التطير كان له ما يبرره فى العصور القديمة وكان متفقاً و متمشياً مع الحالة العقلية التى كانت سائدة وقتئذ . أما الآن فلا محل له فى المجتمع الحديث بعد كل هذا التقدم فى العلوم . فسلوك الرجل الرومانى الذى رأى سرباً من الطير فاتخذة نذير سوء وتشاء منه — له ما يبرره نسبياً لأنه يتفق مع الحالة العقلية التى كانت سائدة وقتئذ . ولكن لو أن هذا الرجل الرومانى عدل عن مشروع لأن قدمه

قد ارتطمت سهواً بعتبة الباب فإنه يكون أفضل منا نحن التحليلين ، لأن زلة قدمه تدل على وجود شك وتيار مضاد أضعف من قوة عزيمته وقت التنفيذ . فلضمان النكاح ينبغي حشد كل القوى النفسية وتركيزها على الهدف المرغوب .

من دراسة فرويد للدوافع النفسية المختلفة بواسطة التحليل النفسي اتضحت له الدوافع اللاشعورية التي تظهر فى التطير : « إن التطير منشأ الدوافع العدائية القاسية المكبوتة ، فالجزء الأكبر من التطير يتم عن الخوف من شر مستطير . ومن يتمنى الشر لغيره ، ولكنه يضطر إلى كبت هذه النزعة الشريرة فى اللاشعور نتيجة لحسن تربيته ، فإنه يتوقع العقاب على هذا الشر المكبوت ، عقاباً يأتىه على شكل شرونحس يهدده من الخارج » .

فى هذا التفسير يتناول فرويد ناحية التشاؤم . إلا أن للتطير — كما هو معروف — ناحيتين : علامات للسعد وعلامات للنحس . ويتفاعل التطير بالأولى ويتشاءم من الثانية . يتبقى إذن ناحية التفاؤل أى عند ما يتخذ الشخص التطير بشائر للخير يتفاعل بها فهل يمكن — قياساً على تفسير فرويد — أن نقول إن التفاعل شيمة من يتمنى الخير للغير . وأن من أحب لغيره ما يحب لنفسه توقع أن يرتد إليه الخير فيستبشر به ويتفاعل له ؟

ثانياً : علاقة التطير بالشخصية :

إذا صح ذلك فإنه قد يكون من الممكن إضافة التطير إلى الصفات المزاجية والخلقية التي تميز الشخصية .

وتفسير فرويد السالف الذكر ينصب على المرضى بأمراض عصابية وهم عينة منتقاة لا تمثل المجموع . ومن الخطأ تقسم الناس على أساس ما لوحظ على هذه الفئة .

ولو أمكن حينئذ الوصول إلى طريقة لقياس التطير — باختبار أو استفتاء ، يضم إلى اختبارات فى النواحي الأخرى — لأمكن مثلاً أن يضاف التفاؤل إلى العامل الخلقى الذى كشف عنه وب Webb . أو إضافة بند جديد إلى القوائم التي قام بوضعها يونج Jung ، كاتل Cattel للصفات المزاجية التي تميز الشخصية : كأن يقال إن الأنسبسطى أميل إلى التفاؤل وإن الانطوائى أميل إلى التشاؤم . وكما أنه لا يمكن القول بذلك ما لم نصل إلى طريقة لقياس التطير ، فكذلك تقع البيئة على من يدعى عكس ذلك ،

فأمامنا إذن حدث خارجى هو النذير أو البشير من ناحية ، واستعداداً لتفسيره بحسب الصفات المزاجية والخلقية ونوع الشخصية من ناحية أخرى (فالبعض يتفاعل من رقم ١٣ والبعض الآخر يتشاعم منه — ويتفاعل البعض من الهرة السوداء ويتشاعم البعض الآخر منها — كما لا يخفى أن كثيرين لا يبالون ولا يكثرثون ولا يقيمون لهذه العلامات وزناً) . يضاف إلى ذلك أن للمهنة والسن والخبرة دخل كبير فى القابلية للتطير . وهذه كلها بعض الاعتبارات التى ينبغى أن تؤخذ فى الحسبان عند عمل الاختبار أو الاستفتاء المشار إليه . كما يشترط أن تؤخذ مادته من البيئة والمعتقدات المصرية .

أخيراً إذا كان المريض بمرض عصابى إذا تطير تشاعم (كما يتضح من تفسير فرويد) ، فهل من غرابة إذا أضفنا التفاؤل إلى الحالات السوية ؟ وهل يحق لنا القول بأن المكتمل الشخصية هو إما من لا يكثرث ولا يتطير أو أنه هو من يميل إلى التفاؤل ؟ والمجال مفتوح لمناقشة هذا رأى — إذا صح أنه رأى — وإلا فليكن استفساراً وسؤالاً .

نجيب يوسف بدوى